

كيف يقضي الأسرى عيد الأضحى؟



19 يونيو 2021 - 11:25

عبد الناصر عوني فروانة

عيد الأضحى المبارك أو يوم النحر، أو بالعامية العيد الكبير، هو مناسبة سعيدة وعظيمة يحتفل بها العالم الإسلامي في كل أنحاء الأرض، حيث تبدأ الاحتفالات عادةً بأداء صلاة العيد فجر يوم 10 ذو الحجة، وبعد الانتهاء من الصلاة ينتشر المسلمون ليقوموا بذبح الأضحية تطبيقاً للآية الكريمة من قول الله تعالى: " انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر".

وفي عيد الأضحى، كما في عيد الفطر، تتزين الشوارع والمدن وتوزع الحلوى، وتُكثر فيه الصلوات وذكر الله والدعاء، وتنتشر الأفراح والمسرات وتبادل الزيارات، فيما الأطفال يتميزون عن غيرهم بارتداء الأثواب الجديدة.

أما الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي، على اختلاف فئاتهم العمرية، فانهم يستقبلون العيد بأشكال وصور متعددة، ونظرتهم للعيد تنطلق من بعدين؛ الأول العقائدي والديني وهذا يجعل الأسير يستشعر مكانة العيد ويتعامل معه من هذا المنطلق خاصة انه مناسبة إسلامية ذات دلالة في الشريعة.

أما البعد الآخر فهو المتمثل في نفسية الأسير في تلك اللحظات التي يبدأ معها بتقليب شريط الذكريات، ويتخيل نفسه بين أهله وعائلته، ويتمنى أن يكون بينهم يشاطروهم هذه المناسبة ويشاركهم الفرحة.

فالحياة داخل السجون مختلفة تماماً، ومشاعر الفرح بقدم العيد تكون ممزوجة بالألم والحزن، ولا يحسّ بها سوى من ذاق مرارة الاعتقال وعاش بين جدران السجن، ولا أظن أن أحداً منا مرّ بالتجربة وشهد العيد خلف القضبان، وقد نسي كيف كان يقضي العيد هناك، وما ألم به من وجع ومرارة!.

من الصعوبة بمكان وصف الحياة وترجمة المشاعر، إلا أننا نجتهد ونسعى لرسم صورة قلمية حول واقع أسرانا وذويهم ومشاعرهم في العيد. اعتماداً على ما تحفظه الذاكرة، واستناداً لما يصلنا رهنأً من داخل السجون عبر الرسائل المهرية وما يُنقل عبر المحامين وذوي الأسرى الذين يُسمح لهم بالزيارات بين الفينة والأخرى.

يعيش الأسرى داخل السجون المحاطة بالجدار الشاهقة وداخل الغرف المغلقة ظروفاً صعبة، ويُعاملون بقسوة ولا إنسانية. والعيد في السجون مناسبة إسلامية سعيدة، لكنها ثقيلة ومؤلمة، وتمر ساعاتها المعدودة وأيامها المحدودة ببطء شديد، والحياة والمشاعر فيها مختلفة، فيضطر الأسرى لإحياء المناسبة بطقوس خاصة، حيث صناعة الحلوى

وفقاً للإمكانيات المتاحة، والاستيقاظ المبكر صبيحة العيد، والاستحمام وارتداء أجمل الملابس، والخروج إلى الفورة (الساحة) لصلاة العيد، ومن ثم يصطفون بشكل دائري في الفورة، ويصافحون بعضهم البعض، ويتبادلون التهاني، ويوزعون كعك وحلوى صنعتها أيديهم، وما هو متوفر لديهم وما تمكنوا من شرائه من مقصف السجن من الشوكولاتة والتمر، كما وتلقى الكلمات وعبارات التهنية والخطب القصيرة.

وفي كثير من الأحيان تمنع إدارة السجن صلاة العيد بشكل جماعي في ساحة القسم، وترفض تخصيص زيارة للأهل، أو الاتصال بهم هاتفياً. وفي أحيان أخرى تعرقل الزيارات فيما بين الغرف والأقسام الداخلية، أو تعتمد على استنزاف الأسرى وتفتح الأقسام وتجري التفتيشات وتعندي عليهم أو تنكل بهم خلال أيام العيد.

العيد: مناسبة مؤلمة بالنسبة للأسرى، قاسية على قلوبهم، ثقيلة على رؤوسهم، يضطر فيها الأسير لاستحضار شريط الذكريات، بما حمله من مشاهد ومحطات مختلفة. فبعض الأسرى ينطوون لساعات طويلة في زوايا الغرف الصغيرة، والبعض الآخر يشرع في ترجمة ما لديه من مشاعر على صفحات من الورق، ليخط بعض القصائد والرسائل على أمل أن تصل لاحقاً إلى أصحابها، وقد لا تصل وتبقى حبراً على ورق، فيما الدموع تتهمر من عيون بعضهم حزناً وألماً على ما أصابهم وأصاب عائلاتهم. وهناك المئات من الأسرى قد استقبلوا عشرات الأعياد بين جدران السجن، ومنهم من احتفل بالعيد مع أبنائه خلف القضبان، ومن بين الأسرى من فقدوا أحبة لهم وهم في السجن، وتبخر الأمل في الاحتفاء بالعيد مع آبائهم وأمهاتهم وأعزاء على قلوبهم.

وبالمقابل، فهي مناسبة لا تقل ألماً بالنسبة لعائلاتهم وأفراد أسرهم، حيث تعيش عائلات الأسرى وأطفالهم لحظات من الألم والوجع على فراقهم، فيستذكر الأطفال آبائهم، وتستحضر الأسرة سيرتهم، وهو ما يجعل العائلة تفقد مشاعر الفرح جراء سجنهم، ويدفع الأفراد للمطالبة بأن يُسمح لهم بالتوافد إلى بوابات السجن للزيارة ولقاء الأحبة ولو لدقائق معدودة. خاصة وأن الزيارات متوقفة لأسرى قطاع غزة، وهي غير منتظمة بالنسبة لباقي الأسرى منذ انتشار جائحة "كورونا" في المنطقة قبل حوالي عام ونصف.

ويحل عيد الأضحى هذا العام وأوضاع الأسرى وظروف احتجازهم، تزداد قسوة، في ظل ارتفاع وتيرة الاقحامات والاعتداءات والقمع وقسوة السجن وتفشي فيروس "كورونا" وزيادة القلق لديهم وعليهم من خطر إصابتهم بهذا "الوباء"، مع غياب إجراءات الوقاية وتدني مستوى تدابير السلامة واستمرار الاستهتار الإسرائيلي بحياتهم وأوضاعهم الصحية وتدني مستوى الرعاية الصحية.

لهذا نتمنى عليكم جميعاً، وفي غمرة الفرح بالعيد بأن لا تنسوا الأسرى من دعائكم، وأن تتذكروا عوائلهم عبر التواصل معهم وزيارتهم في بيوتهم والتخفيف من آلامهم ومعاناتهم.

ومع حلول عيد الأضحى تذكروا أن هناك نحو (4850) أسيراً، يقبعون في سجون الاحتلال، ولكل واحد من هؤلاء قصة وحكاية، وأن من بينهم (43) أسيرة، و(225) طفلاً و(540) معتقلاً إدارياً، وأكثر من (500) أسير/ة يعانون من أمراض مختلفة، بينهم عشرات من ذوي الاحتياجات الخاصة ومرضى السرطان و كبار السن وأكبرهم الأسير فؤاد الشوبكي "أبو حازم" الذي بلغ من العمر (82) عاماً.

وتذكروا أيضاً أن من بين الأسرى يوجد (85) أسيراً معتقلين منذ ما يزيد عن 20 سنة، وأن من بينهم (34) أسيراً مضى على اعتقالهم أكثر من 25 سنة، ومن بين هؤلاء (13) أسيراً معتقلين منذ ما يزيد عن 30 سنة بشكل متواصل، أقدمهم الأسيرين كريم وماهر يونس المعتقلان منذ يناير 1983. بالإضافة إلى وجود عشرات آخرين ممن تحرروا في صفقة وفاء الأحرار (شاليط) عام 2011، وأعيد اعتقالهم عام 2014، وهؤلاء أمضوا 20 سنة وما يزيد، وأبرزهم الأسير نائل البرغوثي الذي أمضى أكثر من 40 سنة على فترتين وما زال في السجن. فاكثروا لهم بالدعاء بأن يفرج الله كربهم، وأن يفك أسرهم ويعيدهم إلى أهلهم سالمين.

وفي الختام ندعو مؤسسات المجتمع الدولي وكافة منظمات حقوق الإنسان، إلى تحمل مسؤولياتها والعمل الجاد من أجل توفير الحماية للأسرى والمعتقلين الفلسطينيين في ظل التصعيد الإسرائيلي، والتحرك العاجل بما يكفل استئناف زيارات الأهل لكافة الأسرى دون استثناء أو عراقيل، وبما يضمن توفير الحق في الاتصال والتواصل الإنساني، واستقبال الأسرى لأقربائهم، على فترات منتظمة، كما تنص عليه المادة (116) من اتفاقية جنيف الرابعة.